# تعدد إجابات النبي ﷺ عن السؤال الواحد
# حديث الساعة نموذجاً "دراسة تحليلية"

**أ.م.د. محمد طه علام**
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
كلية الآداب ، جامعة كفر الشيخ
lam727924@gmail.com

**doi**: 10.21608/jfpsu.2023.225630.1287

# تعدد إجابات النبي ﷺ عن السؤال الواحد
# حديث الساعة نموذجاً "دراسة تحليلية"


## مستخلص

قد شغل التفكير في أمر الساعة الناس، وأرادوا أن يتعرفوا على وقت قيامها، وموعد حدوثها؛ فكثرت أسئلتهم عنها، وقد سجل القرآن الكريم هذا الاهتمام، وتحدث عن الساعة من نواح متعددة، فبين أشراطها وما يقع بين يديها من نذر وآيات، وتحدث – أيضاً– عن أحوال البشر عند اقتراب قيامها، وأفاض في الكلام عن أحداثها، ولكن القرآن الكريم لم يفصح عن وقت حدوثها، ولم يبين موعد قيامها، بل رد علم ذلك إلى الله تعالى.

فسأل الناس النبي ﷺ أملاً أن يجدوا عنده جواباً لهذا الأمر الذي شغل بالهم، وحير أفهامهم، فاستخدم الأسلوب الحكيم في الإجابة، فتارة يأتي الجواب مباشرا، وتارة يأتي غير مباشر، وراعى النبي ﷺ في ذلك اختلاف الأحوال والأشخاص، واختلاف الأوقات، فأجاب كل سائل بما يناسبه، ويحقق مقصود الشريعة. فقد أجاب النبي ﷺ على سؤال الأعرابي عن الساعة، بسؤاله عما أعد لها، تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، وهذا يسمى بالأسلوب الحكيم. وجاء جبريل عليه السلام يسأل النبي ﷺ عن الساعة؛ ليسمع الناس الإجابة حتى لا يعاودوا السؤال بعدها، فتوسع النبي ﷺ في الإجابة، فساق له بعض أشراطها؛ لكي يعلم الناس أن هذا هو القدر المسموح به، من العلم بموعدها. وقد أمهل النبي ﷺ الأعرابي تأديباً له، ولم يجب سؤاله عن الساعة، حتى أتم حديثه مع القوم، ثم أجابه بما يدل عليها، وهو اختلال الأحوال، وفساد الأمور حتى تضيع الأمانة، وتسند إلى من ليسوا أهلا لها، ويقدم من لا يستحق أن يقدم، ويسود الأراذل ويؤخر الأماثل. وقد سأل الأعراب النبي ﷺ عن الساعة الكبرى، فجاء جواب النبي ﷺ عن الساعة الصغرى؛ لكي لا يرتابوا، وهو من باب الأسلوب الحكيم أيضا، فإنه أجابهم بخلاف ما يترقبون، وأرشدهم إلى الاستعداد للموت، والتأهب للقاء الله؛ فإنه قريب.

وهكذا تعددت إجابات النبي ﷺ عن السؤال الواحد بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص، ومراعاة لاختلاف الأوقات.


**الكلمات المفتاحية:** الساعة ، القيامة ، السؤال الواحد ، تعدد الإجابة.

# Pluraity of  Answers of the Prophet (SAW) to the Same Question: The Hadith of the Hour as a Model "An Analytical Study"


## Abstract

People have been preoccupied with thinking about the Hour, and they wanted to know the time of its resurrection and the date of its occurrence. Their questions abounded about it, and the Holy Qur'an recorded this interest, and it spoke about the Hour in various ways, so it explained its signs and what falls between its hands of vows and verses. It also spoke about the conditions of people when its resurrection approaches, and spoke extensively about its events. However, the Holy Qur'an did not disclose the time of its occurrence, and the date of its occurrence was not indicated, rather the knowledge of that was referred to Allah Almighty.

People asked the Prophet (SAW) hoping that they would find an answer with him for this matter that occupied their minds and confused their understanding, so he used the wise method in answering. Sometimes the answer comes directly, and sometimes it comes indirectly. He took into account the different conditions and people, and the different times, so he answered each question according to what suits him, and fulfills the purpose of the Sharia.

Thus, the answers of the Prophet (SAW) were numerous to the same question, according to different situations and people, and taking into account the different times.


***Keywords***: the Hour, the resurrection, the same question, plurality of answers.

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

سئل ﷺ عن المسألة الواحدة فعدد لها الإجابات، بما يناسب اختلاف الأحوال والأوقات، فعليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة، وأتم السلام.

أما بعد

فإن السؤال له بالغ الأهمية، في العملية التعليمية، وهو من أحسن الوسائل التربوية، وأفضل الأدوات المعرفية، وقد اهتم القرآن الكريم بالسؤال أهمية كبيرة، فوجه المؤمنين إلى الانتفاع بأسلوب الأسئلة، وحث ورغب في الأسئلة النافعة، ونهى عن الأسئلة غير المفيدة، وتولى الإجابة على بعض الأسئلة.

وكذلك اعتنت السنة النبوية بالسؤال عناية بالغة، ويتضح ذلك من استخدام النبي ﷺ للسؤال بكثرة، وتنويعه لطرق الأسئلة، وكثرة الموضوعات التي استخدم فيها الأسئلة.

وقد سئل النبي ﷺ عن المسألة الواحدة، في أوقات مختلفة، فعدد لها الأجوبة، مما يشعر ظاهرها أنها متناقضة، ولكن النبي ﷺ راعى فيها اختلاف أوقات المسألة، كما راعى اختلاف أحوال السائل والسائلة، وذلك جاء في السنة النبوية بكثرة، ووردت به الأحاديث بوفرة، فحضني ذلك على دراسة تعدد إجابة النبي ﷺ في المسألة الواحدة، فجاء بحثي بعنوان ( تعدد إجابات النبي ﷺ عن السؤال الواحد حديث الساعة نموذجاً "دراسة تحليلية").

وسينطوي البحث بإذن الله تعالى في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس.

فأما التمهيد فيشمل على : السؤال عن الساعة في الكتاب والسنة النبوية.

وأما المبحثين فهما على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإجابة المباشرة، وينقسم إلى مطلبين، وهما كالآتي:

المطلب الأول: الرد على السؤال بسؤال.

المطلب الثاني: التوسع في الجواب.

المبحث الثاني: الإجابة غير المباشرة، وينقسم إلى مطلبين، وهما كالآتي:

المطلب الأول: الإمهال.

المطلب الثاني: الإجابة بما يناسب حال السائل.

وأما الخاتمة فتشمل ملخص البحث، وأهم نتائجه.

## التمهيد

## السؤال عن الساعة في الكتاب والسنة النبوية

شغل التفكير في أمر الساعة البشر قديماً وحديثاً، وأهمهم أن يتعرفوا موعد قيامها، ووقت حدوثها .

فقد تحدث القرآن الكريم عن القيامة من نواح شتى، وجوانب متعددة: تحدث عن أشراطها وعما يكون بين يديها من نذر وآيات – وتحدث عما ستكون عليه أحوال الناس فيها وعند اقتراب زمانها – وأفاض في الكلام عن أحداثها، من البعث، والحشر، والموقف، والصراط ، والوزن، والجنة والنار، – وتجاوز ذلك إلى الكلام عن أحوال البشر يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وعن تقلب قلوبهم وأبصارهم بين خوف ورجاء، ويأس وأمل، وبين ما سوف يصير الناس إليه من شقاء أو سعادة، هوان أو كرامة – فريق في الجنة وفريق في السعير.

وكذلك فعل خاتم الأنبياء والمرسلين – وهو المبلغ عن ربه والناطق بوحيه – ففصل من هذه الأمور مجملات ، وحلّ مشكلات ، وأضاف إلى ما جاء في القرآن ما أضاف مما كشف له وأطلع عليه ، وأذن له فيه.

ولكن القرآن الكريم لم يفصح بشيء عن الوقت الذي تقوم فيه، بل رد علمها إلى الله، وأوضح أنه سر من الأسرار التي احتفظ بها لنفسه، ولم يكشف عنها لأحد من خلقه .

فتساءل الناس على عهد رسول الله ﷺ حين كان الوحي ينزل عليه عن هذا الأمر الذي شغل بالهم، وحير أفهامهم.

والقرآن يسجل هذا الاهتمام الواضح من الناس بأمر قيام الساعة، ويوجه الدعاة إلى الله إلى طريق الجواب عنه. قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ

يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (١) وقال تعالى:﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾(٢)، وقال سبحانه:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾(٣) ، وتتكرر في القرآن الكريم هذه الآية﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ويتنوع الجواب عما اشتملت عليه في كل مناسبة.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٥).

وقال عز وجل: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٦).

وقال سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).
(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦٣).
(٣) سورة النازعات، الآيات (٤٢- ٤٦).
(٤) سورة يونس، الآيتان (٤٨-٤٩).
(٥) سورة الأنبياء، الآيات (٣٨-٤٠).
(٦) سورة سبأ ، الآيتان (٢٩-٣٠).

صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(١).

و يقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢).

وهكذا نرى الجواب عن هذا التساؤل يتنوع لاختلاف أحوال السائلين، إلا أنه اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد.

كذلك وجه السؤال نفسه إلى النبي ﷺ من أناس اختلف مشاربهم ، وتنوعت عقائدهم ، وتباين تفكيرهم، فمنهم المؤمن الذي يريد أن يعرف ويتعلم، ومنهم المنكر المتعنت الذي يسأل استبعادا واستهزاء، ومنهم من يناسبه الجواب الصريح، ومنهم من يناسبه أن يسلك معه مسلك آخر أجدى عليه وأنفع له، والمربي الذي أشرق بنور الله قلبه، واستنارت بحكمته بصيرته يستطيع بتوفيق من ربه أن يعرف أحوال الذين يسألونه – بذلك يهتدي لما ينبغي أن يكون عليه في تعليمهم وإرشادهم، فيهدي في ذلك إلى الصواب، ويوفق للحكمة وفصل الخطاب.

ومن أعرف بالنفوس، وأقدر على علاجها وسياستها، وأبصر بالطب لها من محمد ﷺ الذي اصطفاه ربه واجتباه، وأدبه وعلمه وزكاه، وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكون يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما.

ومن ثم فقد اختلفت إجابات النبي ﷺ عن هذا السؤال تبعا لاختلاف أحوال من توجهوا به .

فقد أجاب سؤال جبريل عليه السلام عنها، بقوله ﷺ : « مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا» (٣) ، وسأله أعرابي عنها، وهو جالس يحدث أصحابه، فأجابه

---

(١) سورة يس ، الآيات (٤٨-٥٠).

(٢) سورة الملك ، الآيات (٢٥-٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان ، (١٩/١) رقم [٥٠] ، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ، (٣٦/١) رقم [٨] .

بقوله ﷺ :« فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةً، يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: « إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ » (٢).

قَالَ هِشَامٌ أحد رواة الحديث(٣): يَعْنِي مَوْتَهُمْ؛ لأن ساعة كل إنسان موته، فهي الساعة الصغرى لا الكبرى التي هي بعث الناس، ولا الوسطى التي هي موت أهل القرن الواحد، وهذا الجواب كما ذكر ابن حجر في الفتح من معاريض الكلام، حيث يقول: "هذا الجواب من معاريض الكلام فإنه لو قال لهم: لا أدري ابتداء مع ما هم فيه من الجفاء، وقبل تمكن الإيمان في قلوبهم لارتابوا، فعدل إلى إعلامهم بالوقت الذي ينقرضون هم فيه، ولو كان تمكن الإيمان في قلوبهم لأفصح لهم بالمراد " (٤).

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ (ت٧٨٦هـ)" هذا الجواب من الأسلوب الحكيم(٥)، أي: دعوا السؤال عن وقت القيامة الكبرى، فإنها لا يعلمها إلا الله، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى لكم؛ لأن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته؛ لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر" (٦).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فَأَتَمَّ الحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ ، (٢١/١) رقم [٥٩] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت (١٠٧/٨) رقم [٦٥١١] .

(٣) هشام بْن عروة بْن الزبير بْن العوام القرشي، رأى أنس بن مالك، وجابر بْن عَبد الله، وسهل بن سعد، وغيرهم، ورَوَى عَن: بكر بن وائل، وصالح بن ربيعة بن الهدير وغيرهما، ثقة فقيه، مات سنة خمس أو ست وأربعين، وله سبع وثمانون سنة. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، (٢٣٢/٣٠) ترجمة (٦٥٨٥) ، وتقريب التهذيب، ابن حجر، (ص٥٧٣) ترجمة (٧٣٠٢).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (٣٦٤/١١) .

(٥) هو : تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه إلى خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله، أو المهم له" ، ينظر: خصائص التركيب ( دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ) تأليف: محمد محمد أبو موسى ، (ص/٢٧٠).

(٦) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، (٣٥/٢٢)، (٢٨/٢٣).

## المبحث الأول: الإجابة المباشرة

### المطلب الأول: الرد على السؤال بسؤال

عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ: « وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا » . قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» . قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قَالَ أَنَسٌ: « فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ » (١) .

### التحليل والبيان

السائل في هذا الحديث، رجل من أهل البادية كما صح ذلك عن أنس ﷺ من رواية قتادة وغيره عنه، والذي رجح الحافظ ابن حجر في الفتح(٢) أنه ذُو الْخوَيْصِرَةِ الْيَمَانِيّ(٣) ، فقد أجابه النبي ﷺ بقوله : « وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا » وفي رواية « ويلك وما أَعْدَدْتَ لَهَا » (٤) فقد عدل صلوات الله وسلامه عليه عن إجابته عن سؤاله عن الساعة إلى سؤاله عما أعد لها .

والأصل في الجواب أن يكونَ مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجّها، وقد يعْدَل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان مِنْ حقّ السؤال أن يكونَ كذلك(٥).

وكأن الرسول ﷺ يقول له: إن الاهتمام ينبغي أن يوجه إلى الأعمال التي يعدها العبد لذلك اليوم الذي يلقى فيه ربه فيحاسبه على ما قدم من عمله ، ويمنحه غفرانه ورحمته، ورضوانه وجنته ما يتناسب مع عمله وإخلاصه وجهاده ، فبالعمل فاز الفائزون وسبق السابقون ، أما الساعة فقد اقتضت حكمة الله أن يخفيها عن عباده ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ ﷺ، (١٢/٥) رقم [٣٦٨٨].

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٤٩/٧) .

(٣) ذو الخويصرة اليماني، الصحابي الذي بال في المسجد. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، (٢١٥/٢).

(٤) أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب: الأدب، باب: مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، (٣٩/٨) رقم [٦١٦٧] .

(٥) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (٣/ ٤٨٩).

أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (١)، ليكن اجتهادهم فيما طلب منهم ، ولا تتعلق قلوبهم بمعرفة ما طوى الله عنهم(٢) .

قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ):" كان سؤال الناس رسول الله ﷺ عن قيام الساعة على وجهين:

أحدهما: على معنى التعنت له والتكذيب بها. والآخر: على سبيل التصديق بها والشفق بها، فلما قال البدوي: متى الساعة؟ امتحنه ﷺ مستبرما حاله بقوله: ما أعددت لها؟ ليعلم هل هو ممن يسأل عنها عنتا ؟ أو ممن يسأل شفقا وحذرا ؟، فلما ظهر له إيمانه بالله ورسوله وتصديقه بالبعث. قال له: أنت مع من أحببت، فألحقه بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة" (٣).

فماذا كان شعور الرجل حين سمع هذه الإجابة من النبي ﷺ والتي جاءت على صورة السؤال ، وكيف كان جوابه عليها .

لقد غلب عليه الاستكانة ، وعدم الاعتداد بعمله ، وقد لاحظ أنس ﷺ ذلك وعبر عنه بقوله: ( فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ) كما في رواية كتاب الأحكام (٤) .

أما جوابه فقد اختلف الروايات في اللفظ الذي نطق به الرجل ، ففي روايتنا هذه أنه قال: ( لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ) وفي بعضها ( مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) (٥) ، وكل هذه الألفاظ صحت بها الرواية عن أنس في الصحيحين .

والجمع بين هذه الروايات يسير إن شاء الله ، ففي رواية ( لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ) يكون المعنى أي: لا شيء أعتد به ، وأركن إليه ، وأعتد به إلا المحبة ، ولا يعني ذلك أن الرجل يعترف أنه لم يعمل شيئا أصلا ؛ لأن هذا يتعارض تماما مع الرواية التي تقول : ( مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) ، فإنها تشير إشارة واضحة إلى أن للرجل عملا من الصلاة والصيام والصدقة ،

(١) سورة طه ، الآية (١٥).
(٢) ينظر: المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، (ص١٥).
(٣) شرح صحيح البخاري، الخطابي، (٢٢٠٦/٣).
(٤) أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب : الأحكام ، باب : القَضَاءِ وَالفُتْيَا فِي الطَّرِيقِ، (٦٤/٩) رقم [٧١٥٣] .
(٥) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب : الأدب ، باب : علامة حب الله ﷻ ، (٤٠/٨) رقم [٦١٧١] .

وإن لم يكن يراه كثيرا .

ومثل هذا يقال في رواية : ( مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ )، أي: ما أعددت لها ما أحمد عليه نفسي ويطمئن إليه قلبي إلا المحبة، فهو لم يأت منها بالكثير الذي يعتمد عليه، ويرتجى دخول الجنة(١).

وبهذا تلتقي الروايات ، والحديث يفسر بعضه بعضا ، وبخاصة إذا كانت جميع الروايات في حيز الصحة والقبول ، كما هو الشأن ههنا .

ولقد كان التواضع والاستكانة وقلة الاعتداد بالعمل، من الصفات البارزة في أصحاب رسول الله ﷺ فقد كانوا يستقلون كثيرا مما يقدمون من عمل صالح ، ويستعظمون قليل ما يصدر عنهم من هفوات أو هفات .

والسر في سيطرة هذه المشاعر الكريمة عليهم ، وتأصل هذه الصفات السامية فيهم هو قربهم من النبي ﷺ وتأثير روحانيته العظيمة عليهم في تزكية نفوسهم ، وتطهير قلوبهم ، وإذا زكت النفس ، وطهر القلب خلص اتجاه المؤمن إلى ربه الذي خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره مستشعرا قول الله جل جلاله لنبيه ومصطفاه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٢) ولهذا كان خير القرون قرنه عليه الصلاة والسلام ببركة صحبته وتربيته ، وتعليمه وروحانيته(٣).

وهنا يسوق النبي ﷺ البشرى لهذا السائل المحب ، ولسائر المحبين بكلمته التي فرح بها أصحاب النبي ﷺ أكثر من فرحهم بأي شيء سواها « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » فما هو الحب ؟

الحب: ميل النفس إلى ما فيه منفعة أو لذة أو هوى ، وحب الله تعالى هو تعلق القلب به على وجه يليق بذاته من الإعظام والإكبار والإجلال (٤)، فهو في نظر الباحث

(١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، القرطبي، (٦٤٦/٦).
(٢) سورة الأنعام ، الآيتان (١٦٢، ١٦٣).
(٣) ينظر: المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، (ص١٦).
(٤) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، (١٦٤٩/٥).

بحسب معناه الموضوع له في أصل اللغة(١).

وقد تعاظم قوم تفسير الحب في مثل هذا الموطن بالميل القلبي ؛ لأن الحب في نظرهم لا يكون إلا بين متشاكلين ومتجانسين ، والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، ثم افترقوا ، فقال قوم : إنه الطاعة ، وقال قوم إنه الحب العقلي الذي يقتضي إيثار ما يقتضي العقل السليم إيثاره وإن كان على خلاف هوى النفس(٢) .

وللإمام الغزالي ( ت٥٠٥هـ) كلام طيب في هذه المسألة ، يقول فيه : " وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال ، ... واعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فرض ، وكيف يفرض مالا وجود له؟ وكيف يفسر الحب بالطاعة ؟ والطاعة تبع الحب وثمرته ، فلا بد وأن يتقدم الحب ، ثم بعد ذلك يطيع من أحب ، ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٤) ، وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه " (٥).

والحق أن تفسير الحب في هذا الموطن وأمثاله بغير المعنى المتبادر منه ، خروج على الفطرة واللغة وآيات القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة.

أما خروجه على الفطرة : فلما يحسه كل مؤمن صادق الإيمان من تعلق بالله تبارك

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢٨٩/١) مادة ( ح. ب. ب ).

(٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (١١٩/٨)، ومطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قرقول، (٢١١/٢).

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٦٥).

(٤) سورة المائدة ، الآية (٥٤).

(٥) إحياء علوم الدين، (٢٩٤/٤).

وتعالى ، يملك عليه أقطار نفسه ، ويستغرق جواب قلبه ، وتتضح سيطرة هذا الشعور إثر عبادة خاشعة ، يصحبها صفاء النفس ، وحضور القلب ، ووجدان الأُنس ، ويرى فيها العبد إحسان ربه المترادف ، وعظمته الشاملة .

وأما خروجه على اللغة : فلأن الألفاظ وضعت لمعان تتبادر إلى الذهن عند سماعها ، أو النطق بها ، ولا ينبغي تفسير اللفظ بغير المعنى الموضوع له في أصل اللغة إلا لقرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، وبحيث تكون قرينة قوية لا مجرد توهم .

والقرينة هنا قائمة على إمكان إرادة المعنى الأصلي بشهادة الفطرة ، وقد سبق بيانها ، وبشهادة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت ذلك ثبوتا قويا لا يدع مجالا لإنكاره أو التمادي فيه .

ولئن قيل : إن الحب محال إلا مع المثال ، وأن هذا قرينة صارفة عن إمكان حب العبد لربه بمعناه الحقيق ، فالجواب : عدم التسليم بذلك ؛ لأن معناه أن كل إنسان لا يتجاوز حبه جنسه ، فلا يحب زهرة متفتحة ، ولا منظرا بهيا ، وكذلك سائر الخلائق لا يتجاوز حبها جنسها مع أن المعروف والمشاهد أن الحب متبادل بين سائر المخلوقات التي يصح أن يكون منها تلك العاطفة النبيلة(١) .

أما الآيات القرآنية : فهي كثيرة ، وأظهرها آية السورة المائدة السابقة، فقد شهد الله تبارك وتعالى لعباده هؤلاء أنه يحبهم ويحبونه ، ثم أثبت لهم أنهم يجاهدون في سبيل الله ... والجهاد نوع من العمل ، أو ربما كان شاملا لجميع الأعمال ، ومنها قوله تعالى :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٢).

فقد ادعى أهل الكتاب أنهم يحبون الله ، فأمر النبي ﷺ أن يبين لهم أن محبة الله ليست دعوى تطلق باللسان ، وإنما الدليل على صدقها اتباع شريعة الله التي جاءت على يد خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ ، فالمحبة عاطفة وشعور ، أما الدليل على الصدق في ذلك ، فإنه الاتباع على نحو ما فعل أولئك الذين أخبر الله عنهم بأنهم﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ

(١) المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، (ص١٨).
(٢) سورة آل عمران ، الآيتان (٣١ ، ٣٢).

ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(١) ، والاتباع أعني الطاعة والانقياد شيء، والحب شيء آخر(٢).

أما الأحاديث : فمنها قول الرسول ﷺ في دعائه ليلة رأى ربه مناما : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ »(٣).

فالنبي ﷺ سأل ربه أن يوفقه إلى حبه وإلى حب أحبابه ، وإلى حب عمل يقرب إلى حبه ، وذلك بعد أن سأل التوفيق إلى فعل الخيرات ، وإلى ترك المنكرات ، فلو كانت المحبة هي الطاعة لما كان في سؤال المحبة بعد سؤال التوفيق إلى الخيرات من فائدة .

وكذلك الحديث الذي الباحث بصدده يقول فيه ذلك الرجل : « مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » فنرى أنه نفى لنفسه كثرة العمل – ثم أثبت محبة الله ورسوله ، أفيكون ما أثبته ثانيا هو ما نفاه أولا ؟ – اللهم كلا (٤).

أما حب الرسول ﷺ فليس هناك ما يدعو للتأول فيه أو صرفه عما يتبادر منه ، ولهذا فلا حرج في إثبات حب المسلمين لنبيهم وحبيبهم ﷺ ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »(٥).

وهذا من جوامع كلمه ﷺ ، إذ أقسام المحبة ثلاثة : الأولى : محبة إجلال وإعظام

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان (٨٢-٨٣).

(٢) ينظر: التيسير في التفسير، النسفي، (٧/٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ص ، (٣٦٨/٥) رقم [٣٢٣٥] ، وقال : حديث حسن صحيح.

(٤) المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، (ص١٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ ، (١٢/١) رقم [١٥] .

كمحبة الوالد ، والثانية : محبة رحمه وإشفاق كمحبة الولد ، والثالثة : محبة مشاكلة واستحسان ، كمحبة الناس بعضهم لبعض ، فجمع ﷺ ذلك كله(١).

قال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) : " ومن محبته نصرة سنته ، والزب عن شريعته ، وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه ، وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق قدر النبي ﷺ ومنزلته ، على كل والد ومحسن ومتفضل ، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن" (٢).

وللإمام القرطبي (ت٦٥٦هـ) تعقيب على كلام القاضي عياض يقول فيه :" ظاهر كلام القاضي عياض صرف المحبة إلى اعتقاد تعظيمه وإجلاله ، ولا شك في كفر من لا يعتقد ذلك ، غير أنه ليس المراد بهذا الحديث اعتقاد الأعظمية ، إذ اعتقاد الأعظمية ليس بمحبة ولا مستلزما لها، إذ قد يحمد الإنسان إعظام شيء مع خلوه عن محبته ، فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك لم يكمل إيمانه ، على أن كل من آمن إيمانا صحيحا لا يخلو من تلك المحبة، وقد قال عمرو بن العاص ﷺ : ( وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ) (٣)، وأن عمر ﷺ لما سمع هذا الحديث قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الآنَ يَا عُمَرُ »(٤).

وهذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم ، بل ميل قلب ، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك ، قال الله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } ولا شك أن حظ الصحابة ﷺ من هذا المعنى أتم ، لأن المحبة ثمرة المعرفة ، وهم بقدره ومنزلته أعلم (٥).

---

(١) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (٢٨٠/١).
(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، (٢٠٤/١).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ ، (١١٢/١) حديث [١٢١].
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ (١٢٩/٨) حديث [٦٦٣٢] .
(٥) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (٢٢٥/١)، وكذلك عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ، (١٤٤/١).

ثم ينبغي أن نعلم أن المعية التي بشر النبي ﷺ بها هذا الرجل وبشر بها كل محب ، لا تعني أنه مع النبي ﷺ في درجة واحدة ، فليس من لوازم المعية التساوي ، فقد يكون القوم معا في مكان واحد ، ويكرم كل منهم على مقدار منزلته، وحسبما يقضيه مكانه ، قال ابن حجر ( ت٨٥٢هـ):" إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما ولا تلزم في جميع الأشياء فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية وإن تفاوتت الدرجات"(١).

قال أنس ﷺ: ( فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا) تثبتهم من هذا الفرح صراحة: يدل هذا الفرح على أن هذا المعنى كان جديدا عليهم ، ويدل على شدة حبهم لرسول الله ﷺ حيث حرسوا على معيته في الآخرة ، كما حققها الله لهم في الدنيا (٢).

ثم قال أنس : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » وفي رواية لمسلم : فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » (٣).

والمعنى أن الفرح الذي حصل لنا بهذه البشري العظيمة ، وهي أننا سنكون في معية من نحب رسول الله ﷺ ، لم يحصل بشيء آخر من الأمور التي من شأننا أن نفرح بها، قال القرطبي (ت ٦٥٦هـ):" وإنَّما كان فرحهم بذلك أشد؛ لأنَّهم لم يسمعوا أن في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القُرب من النبي ﷺ ، والكون معه؛ إلا حب الله ورسوله، فأعظم بأمر يلحق المقصر بالمشمر، والمتأخر بالمتقدِّم. ولما فهم أنس ﷺ أن هذا اللفظ محمول على عمومه علق به رجاءه، وحقق فيه ظنه، فقال: أنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. والوجه الذي تمسك به أنس ﷺ يشمل من المسلمين المحبين كل ذي نفس، فلذلك تعلقت أطماعنا بذلك؛ وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن، وإن كنا غير مستأهلين" (٤) .

ويدل هذا الفرح الغامر على أن هذه البشرى كانت تطرق أسماعهم لأول مرة ، وأن الأحاديث التي سئل فيها النبي ﷺ عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، فقال : « المرء

---

(١) فتح الباري، (١٠/٥٥٥).
(٢) المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، (ص٢٣).
(٣) أخرجها مسلم في صحيحه ، كتاب: البر والصلة والآداب ، باب : المرء مع من أحب ، (٢٠٣٢/٤) حديث [٢٦٣٩] .
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (٦٤٧/٦).

مع من أحب » (١)، ونحو ذلك متأخرة عن هذا الحديث كأنما لزيادة التأكيد مما دل عليه(٢) .

ومما سبق يتبين أن النبي ﷺ كان يعامل كل سائل بما يستحق، فقد يصرح له بالجواب، وقد يسلك معه طريقا آخر.

### المطلب الثاني: التوسع في الجواب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: " الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾(٣)، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: « رُدُّوهُ » فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»(٤).

### التحليل والبيان

السائل في هذا الحديث ، جبريل عليه السلام ، وهو أمين الوحي في السماء، جاء معلماً للصحابة وليس متعلماً؛ لأن النبي ﷺ قال لأصحابه: سلوني فهابوه أن يسألوه؛ فجاء جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأل ليعلمهم دينهم(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: علامة حب الله ، (٣٩/٨) حديث (٦١٦٩).

(٢) المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، (ص٢٤).

(٣) سورة لقمان، الآية (٣٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، (١/ ١٩) حديث (٥٠).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه،(٤٠/١) حديث (١٠). قول

وقوله: (قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟) أي: استفهام جبريل عليه السلام عن الوقت الذي تقوم فيه القيامة(١).

(قَالَ: ( مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) أي: لست أنا أعلم منك يا جبريل بعلم وقت قيام الساعة، فلا علم للمسئول عنها كما لا علم للسائل، ليعلمها الحاضرون، كالأسئلة السابقة، بل لينزجروا عن السؤال عنها، كما قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ ﴾ (٢)، فلما وقع الجواب عنها، بأنه لا يعلمها إلا الله كفوا(٣).

وقوله: (وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا) أي: ولكن لها علامات تعرف بها، فإن شئت نبأتك بها، ولما كان العلم بوقت الساعة المسئول عنه غير ممكن انتقل منه إلى ذكر أشراطها وهي علامتها الدالة على اقترانها(٤).

وقوله: (إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ (٥) فِي البُنْيَانِ(٦)) أي: تلد سرية الرجل الشريف ذي الحسب، منه ابنًا أو ابنةً، فَيُنْسب إلى الأب، وله به من الشرف ما لأبيه، وأمه أَمَة. وإنما قصد ﷺ بذلك: الخبر عن أن من أمارة قيام الساعة:

---

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « سَلُونِي فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ: لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ. قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ مِنْ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ قَالَ : ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : رُدُّوهُ عَلَيَّ ، فَالْتُمِسَ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا».

(١) ينظر: التوشيح شرح الجامع الصحيح، السيوطي (١/ ٢١٩)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (١/ ١٤٠).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٦٣).

(٣) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني (١/ ١٢٤)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (٧/ ٢٨٩)، منحة الباري بشرح صحيح البخاري زكريا الأنصاري (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٤) ينظر: فتح الباري، ابن رجب (١/ ١٩٧)، التوشيح شرح الجامع الصحيح، السيوطي (١/ ٢٢٠).

(٥) يعنى السُّود، وهن أدون الإبل وشرها، لأن الكرام منها الصفر والبيض. ومن روى البَهْم - بفتح الباء فهو خطأ، لأن البهمة ليست من صغار الإبل، وإنما البهمة من ولد الضأن والمعز بعد ما تولد بعشرين يومًا، وجمعها بهم. ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (١/ ١١٦).

(٦) أي: تفاخر في طول البنيان وتكثر به. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (١/ ١٩٩).

ارتفاع الأَسَافل، وغير ذوى الأخطار من الرجال والنساء، فأعلم أن من ارتفاع من لا خطر له من النساء ولا قدر، يحوِّل بنات الإماء بولادة أمهاتهن لهن من ساداتهن رباتٌ أمثال آبائهن، ومن ارتفاع وضعاء الرجال، ومن لا خطر له منهم يحوِّل الذين كانوا حفاةً عراةً عالةً من الغنم رعاة أهل الشرف في البنيان من الغنى وكثرة المال من بعد العَيْلة والفاقة(١).

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في معنى ذلك على أربعة أقوال: الأول: قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ): معناه: اتساع الإسلام، واستيلاء أهله على بلاد الشرك، وسبى ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها؛ لأنه ولد سيدها، (٢)، واعترض الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) على ذلك فقال:" لكن في كونه المراد نظر؛ لأن استيلاء الإماء كان موجوداً حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك، وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة "(٣) والثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم، ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها، ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط غلبة الجهل، بتحريم بيع أمهات الأولاد، أو الاستهانة بالأحكام الشرعية، فإن قيل: هذه المسألة مختلف، فيها فلا يصلح الحمل عليها؛ لأنه لا جهل ولا استهانة عند القائل بالجواز، قال ابن حجر :" يصلح أن يحمل على صورة اتفاقية، كبيعها في حال حملها، فإنه حرام بالإجماع"(٤)، والثالث: وهو من نمط الذي قبله، قال النووي:" لا يختص هذا بأمهات الأولاد، فإنه متصور في غيرهن، فإن الأمة تلد ولدا حرا من غير سيدها بشبهة، أو ولدا رقيقا بنكاح، أو زنا، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعا صحيحا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد"(٥)، والرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب، والضرب، والاستخدام،

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١/ ١١٥، ١١٦).
(٢) شرح صحيح البخاري، الخطابي، (١٨٢/١)، وينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (١/ ١٩٨).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (١٢٢/١).
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (١٢٢/١)، والنكت على صحيح البخاري، (٢٠/٢).
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٥٩/١).

فأطلق عليه ربها مجازا لذلك، أو المراد بالرب: المربي فيكون حقيقة، قال ابن حجر: " وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ومحصله الإشارة إلَى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير الْمُرَبي مُرَبيًّا والسافل عاليًا، وهو مناسب لقوله ﷺ في العلامة الأخرى:( أن تصير الحُفَاة العُرَاة ملوك الأرض)"(١).

والمقصود أن علامات قيام الساعة انقلاب الأحوال، والقرينة الثانية ظاهرة في صيرورة الأذلة أعزة ملوك الأرض، فتحمل القرينة الأولى إلى صيرورة الأعزة أذلة(٢).

وقوله: (فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾(٣) ، أي: علم وقت الساعة داخل في جملة خمس انفرد الله تعالى بعلمها، ولا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الخمس إلا أن يعلمه الله تعالى به(٤).

وقوله: (ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ») أي: ثم قام الرجل وانصرف، فطلب النبي ﷺ من أصحابه أن يرجعوه إليه، فبحثوا عنه، فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ : (هذا جبريل أراد أن تعلموا، إذا لم تسألوا)(٥) ، قال البخاري:" جعل ذلك كله من الإيمان"(٦).

وهكذا عدل النبي ﷺ عن إجابة السؤال عن وقت قيام الساعة؛ لأن العلم بوقت الساعة المسئول عنه غير ممكن، وانتقل منه إلى ذكر أشراطها، هذا هو القدر المسموح به من العلم بها.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (١٢٢/١)، والنكت على صحيح البخاري، (٢٠/٢).
(٢) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (١/ ١٩٨).
(٣) سورة لقمان، الآية (٣٤).
(٤) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٣/ ١٨٤)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١/ ١٢٣).
(٥) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٦/ ٤٤٢).
(٦) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وبيان النبي ﷺ له، (١٩/١) حديث (٥٠).

## المبحث الثاني: الإجابة غير المباشرة

### المطلب الأول: الإمهال

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ »(١).

### التحليل والبيان

السائل في هذا الحديث، أعرابي، وهو الذي يسكن البادية، وينسب إلى الأعراب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها إلا لحاجة، والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس، ولا واحد له من لفظه، سواء أقام بالبادية أو المدن، وليس الأعراب جمعاً للعرب، والنسب للعرب: عربي، وهذا الأعرابي سماه أبو العالية: رفيعاً(٢).

ومعنى قوله: (بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟)، أي: في وقت وجود النبي ﷺ في مجلس يحدث الناس بالحديث الذي كان فيه، حضر أعرابي، واستفهم عن الوقت الذي تقوم فيه القيامة(٣).

ومعنى قوله: (فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ)، أي: لم يلتفت الرسول ﷺ إلى سؤال الأعرابي، واستمر في حديثه، ولم يقطعه وأتمه وأكمله، فلذلك حصل للصحابة رضي الله عنهم التردد، منهم من قال: سمع فكره، ومنهم من قال: لم يسمع، وذلك لأنه كان ﷺ يكره السؤال عن هذه المسألة بخصوصها، وقد تبين عدم انحصار ترك الجواب في الأمرين المذكورين، بل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، (٣٣/١)، حديث (٥٩).

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٢٥٠/١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى (٢/ ٥)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (١/ ١٥٤)، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الأنصاري، (١/ ٢٥٣).

(٣) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (١/ ١٥٤)، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (٣/ ١٠).

احتمل أن يكون أخره ليكمل الحديث الذي هو فيه، أو أخر جوابه ليوحي إليه به(١).

وتأخيره ﷺ جواب السائل إلى أن قضى حديثه يحتمل؛ لأنه قد شرع في جواب سائل سأله متقدم، فكان أحق بتمامه، ولو قطعه قد لا يحصل للسائل فائدة جوابه، أو كانت الحاجة إليه أمس فخاف فوته(٢).

وهذه المسألة ليست مما يجب تعلمها، بل هي فيما لا يكون العلم بها إلا لله تعالى، ولعل الذي كان رسول الله ﷺ مشتغلا به كان أهم منها، أو لعله أراد أن يتم حديثه لئلا يختلط على السامعين، أو أراد تعليم فوائد منها: أنه يجب على القاضي والمدرس والمفتي تقديم الأسبق، ومنها أن من أدب المتعلم أن لا يسأل العالم ما دام مشتغلا بحديث أو غيره؛ لأن من حق القوم الذين بدأ بحديثهم أن لا يقطعه عنهم حتى يتمه، وفيه الرفق بالمتعلم، وان جفا في سؤاله أو جهل؛ لأن النبي ﷺ لم يوبخه على سؤاله قبل اكمال حديثه(٣).

وفيه إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل: حسن السؤال نصف العلم، وقد أخذ بظاهر هذه القصة مالك وأحمد وغيرهما في الخطبة، فقالوا: لا نقطع الخطبة لسؤال سائل، بل إذا فرغ نجيبه، وفصل الجمهور بين أن يقع ذلك في أثناء واجباتها فيؤخر الجواب، أو في غير الواجبات فيجيب، والأولى حينئذ التفصيل، فإن كان مما يهتم به في أمر الدين، ولا سيما إن اختص بالسائل، فيستحب إجابته، ثم يتم الخطبة، وكذا بين الخطبة والصلاة، وإن كان بخلاف ذلك فيؤخر، وكذا قد يقع في أثناء الواجب ما يقتضي تقديم الجواب، لكن إذا أجاب استأنف على الأصح، ويؤخذ ذلك كله من اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، فإن كان السؤال من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة فيؤخر، كما في هذا الحديث، ولا سيما إن كان ترك السؤال عن ذلك أولى، وقد وقع نظيره في الذي سأل عن الساعة وأقيمت الصلاة، فلما فرغ من الصلاة، قال: "أين السائل" فأجابه(٤)، وإن كان السائل به ضرورة ناجزة فتقدم إجابته، كما في حديث أبي رفاعة عند

---

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١/ ١٤٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٧/٢).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٣/ ٢٥٥).

(٣) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (٢/ ٦)، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البرماوي (١/ ٣٢٩).

(٤) جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ»؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا

مسلم(١)، أنه قال: جاء للنبي ﷺ وهو يخطب رجل غريب لا يدري دينه، جاء يسأل عن دينه، فترك خطبته، وأتى بكرسي، فقعد عليه، فجعل يعلمه، ثم أتى خطبته فأتم آخرها(٢).

ومعنى قوله: (أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ)، وأراه بضم الهمزة أي: أظن، وهو من كلام الراوي، يعني أظن أنه قال: أين السائل ؟ وفي رواية: أين السائل بالجزم(٣)(٤).

والمعنى: أن النبي ﷺ سأل عن مكان السائل عن زمان قيام القيامة، فأجاب لبيك يا رسول الله، أنا حاضر بين يديك، قريب منك، فقد سأل عنه، واهتم به، وتوجه إليه، وهذا هو واجب العالم، فإن كان السؤال مما يمكن الإجابة عليه أجابه، وإلا أقنعه بكل لطف عن عدم إمكانية الإجابة عن سؤاله(٥).

ومعنى قوله: (قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ)، أي: إن شئت معرفة وقتها، فإن أمارتها رفع الأمانة، فإذا رفعت الأمانة فترقب قيامها، فإنها قد دنت(٦).

ومعنى قوله: (قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا) أي: سأل الأعرابي عن كيفية إضاعة الأمانة، وعن الأسباب المؤدية إلى إضاعتها، والسؤال عن كيفية الإضاعة متفرع على ما قبله، وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم السائل، وقد أجاب على السؤال عن بيان كيفية إضاعة الأمانة، بما يدل على الزمان؛ لأنه متضمن للجواب، إذ يلزم منه بيان أن كيفيتها هي بالتوسد المذكور(٧).

---

أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»". أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب الزهد، باب: ما جاء أن المرء مع من أحب، (٥٩٥/٤) حديث (٢٣٨٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(١) قال أبو رفاعة: " انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا " أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: حديث التعليم في الخطبة، (٥٩٧/٢)، حديث (٨٧٦).

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١/ ١٤٢).

(٣) أخرجها ابن المبارك في الزهد، باب: فضل ذكر الله عز وجل، (ص٣٦٠) حديث (١٠١٩)، وأحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك ﷺ ، (٧١/١٩) حديث (١٢٠١٣).

(٤) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (٥/٢)، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، البرماوي (٣٢٨/١)، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (١١/٣).

(٥) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم (١/ ١٥٦، ١٥٧).

(٦) ينظر: مصابيح الجامع، الدماميني (١/ ١٧٢).

(٧) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (٢/ ٦)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى (٢/ ٦).

قال البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): "وقد أخرج الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد، ولأن السؤال الأول لما لم يكن مما يمكن أن يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه، فإن تأقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، عدل عن الجواب إلى ذكر ما يدل على المسئول عنه دلالة ما من أمارتها، وسلك في الجواب الثاني مسلك الأول، ليتسق الكلام "(١).

ومعنى قوله: (قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ)، أي: تفويض الإمارة، والرياسة، والقضاء، والإفتاء، وغيرها من أمور الدين إلى من لا يستحق، ومن يعينهم على الظلم والفجور، وعند ذلك تكون الأئمة قد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم، حتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين، وهذا إنما يكون إذا غلب الجهل وضعف أهل الحق عن القيام به، وعند إذن ترقب وقت قيام الساعة، فإنه قد اقترب(٢).

وهكذا أمهل النبي ﷺ الأعرابي، ثم أجابه بما يدل عليها، وهو اختلال الأحوال، وفساد الأمور حتى تضيع الأمانة، وتسند إلى من ليسوا أهلا لها، ويقدم من لا يستحق أن يقدم، ويسود الأراذل ويؤخر الأماثل.

## المطلب الثاني: الإجابة بما يناسب حال السائل

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْأَعْرَابِ جُفَاةً يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ » (٣).

### التحليل والبيان

أما السائل في هذا الحديث فقد حددته السيدة عائشة رضي الله عنها بأنه من الأعراب، ووضح من قولها: (كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْأَعْرَابِ) أنها تعرف أسماءهم(٤).

وقد وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها بغلظ الطبع؛ لقلة مخالطتهم الناس،

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، (٣/ ٣٤٨).
(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١١/ ٣٣٤)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى (٢/ ٧)، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني (١/ ١٤٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت، (١٠٧/٨) حديث (٦٥١١) .
(٤) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (٩/ ٢٩٧).

بقولها: (جُفَاةً)، وروي بالحاء المهملة بدل الجيم جمع حاف، وهو الذي يمشي بلا شيء في رجليه، وكلا المعنيين غالب على أهل البادية؛ لأن سكان البوادي يغلب عليهم الشظف وخشونة العيش فتجفوا أخلاقهم غالباً(١).

ومعنى قولها: (يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ ؟)، أي: جاءوا من البادية إلى المدينة، وحضروا بين يدي النبي ﷺ من أجل السؤال عن وقت قيام الساعة الكبرى، فلم يجيبهم النبي ﷺ بموعد قيامها، وإنما أجابهم بما تنتهي به أعمارهم، وهي موتهم، فجاءهم الجواب غير مطابق للسؤال، وهذا فن من البلاغة يسمى: أسلوب الحكيم، وهو عدول عن ظاهر الجواب إلى ما هو أولى، وذلك أن من علم قصر مدة عمره، فعليه الاستعداد، والإسراع في العمل الصالح(٢).

وإذا تأملنا كلمتي الساعة والقيامة في القرآن الكريم، وجدنا أن الغالب في استعمال القرآن التعبير بيوم القيامة عن يوم البعث والحشر الذي يكون بعد الموت، الذي يكون فيه الحساب، وما يتلوه من الجزاء – والتعبير بالساعة عن الوقت الذي يموت فيه الأحياء في هذا العالم، ويضطرب نظامه ويخرب بما يكون فيه من الأهوال يتلو بعضها بعضا، فالساعة هي المبدأ، والقيامة هي الغاية، ففي الأولى الموت والهلاك، وفي الآخرة البعث والجزاء، وبعض التعبيرات في كل منهما يحتمل حلوله محل الآخر في الغالب، وفي المعنى المشترك الذي يعم المبدأ والغاية، وحمل بعض المفسرين الآيات على القيامة الصغرى لكل فرد، وهي ساعة موته، وزاد بعضهم القيامة الوسطى، وهي هلاك الجيل أو القرن(٣).

وقد كان النبي ﷺ يتكلم بأشياء على سبيل القياس، وهو دليل معمول به، فكأنه لما نزلت عليه الآيات في تقريب الساعة، كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١١/ ٣٦٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٢٣/ ٩٦)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (٩/ ٢٩٧)، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الأنصاري (٩/ ٤٧٨).
(٢) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني (١٠/ ١٨٢).
(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد (٩/ ٣٨٧).
(٤) سورة النحل الآية (١).

عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١)، حمل ذلك على أنها لا تزيد على مضى قرن واحد(٢).

وقولها: (فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ)، أي: صوب النبي ﷺ بصره نحو أحدثهم سناً، وفي مسلم من حديث أنس ﷺ : (وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ) (٣) وفي أخرى له: (ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ) (٤) وفي أخرى له: (مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي) (٥).

وقولها: (فَيَقُولُ: إِنْ يَعِشْ هَذَا)، فيه إشارة إلى أحدثهم سناً، فإن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة(٦).

ومعنى قوله ﷺ : (لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ)، أي: قبل أن يصير هذا الصغير هرماً يأتي على بعضكم أو على جميعكم الموت، والمراد بساعتكم موتهم، وانقراض القرن الذين هم من عدادهم، ولذلك أضاف إليهم، ومعناه يموت ذلك القرن، أو أولئك المخاطبون، ويحتمل أنه علم أن ذلك الغلام لا يبلغ الهرم ولا يعمر، فأشار إليه وعرفهم أن لا فائدة في ذلك السؤال(٧).

قال الكرماني (ت ٧٨٦هـ):" يريد بساعتهم: موتهم وانقراض عهدهم، إذ من مات فقد قامت قيامته، وكيف والقيامة الكبرى لا يعلمها إلا الله تعالى ! فإن قلت: السؤال عن الكبرى، والجواب بالصغرى فلا مطابقة، قلت: هو من باب الأسلوب الحكيم، ... أو أنه تمثيل لتقريب الساعة لا يراد منها حقيقة قيامها ، إذ الهرم لا حد له، أو علم ﷺ أن ذلك المشار إليه لا يعمر ولا يعيش(٨)"

---

(١) سورة النحل من الآية (٧٧).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر(١١/ ٣٦٤).
(٣) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، (٢٢٦٩/٤)، حديث (٢٩٥٣).
(٤) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، (٢٢٧٠/٤)، حديث (٢٩٥٣).
(٥) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، (٢٢٧٠/٤)، حديث (٢٩٥٣).
(٦) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري (٥/ ٤٥٩)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١١/ ٣٦٤)، شرح مصابيح السنة، ابن الملك (٦/ ١١).
(٧) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا النووي (١٨/ ٩٠)، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٨٥)، شرح مصابيح السنة، ابن الملك (٦/ ١١)، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني (١٠/ ١٨٢).
(٨) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (٢٨/٢٣).

وأطلقت الساعة على ثلاثة أشياء: الساعة الكبرى، وهي بعث الناس للمحاسبة، والوسطى، وهي موت أهل القرن الواحد، والصغرى موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته، فمن مات فقد قامت قيامته؛ لأن الرجل إذا مات يرى جزاء ما فعل، فكأنه رأى القيامة(١).

قال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) :" هذه الرواية رواية واضحة حسنة، وهي المفسرة لكل ما يرد في هذا المعنى من الألفاظ المشكلة، كقوله ﷺ في حديث أنس ﷺ : (حتى تقوم الساعة )، وفي لفظ آخر:( القيامة)، فإنَّه يعني به ساعة المخاطبين وقيامتهم"(٢)، قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ):" وهو نظير قوله ﷺ:« قَامَ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ »(٣) وأن المراد: انقراض ذلك القرن، وأن من كان في زمن النبي ﷺ إذا مضت مائة سنة من وقت تلك المقالة لا يبقى منهم أحد، ووقع الأمر كذلك، فإن آخر من بقي ممن رأى النبي ﷺ أبو الطفيل عامر بن واثلة(٤) كما جزم به مسلم (٥) وغيره، وكانت وفاته سنة عشر ومائة من الهجرة، وذلك عند رأس مائة سنة من وقت تلك المقالة، وقيل: كانت وفاته قبل ذلك، فإن كان كذلك، فيحتمل أن يكون تأخر بعده بعض من أدرك ذلك الزمان، وإن لم يثبت أنه رأى النبي ﷺ "(٦).

وقد أطلق الرسول ﷺ على يوم موتهم اسم الساعة؛ لإفضائه بهم إلى أمور الآخرة، ويؤيد ذلك: أن الله تعالى استأثر بعلم وقت قيام الساعة العظمى، كما دلت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (حتى تقوم الساعة) المبالغة في تقريب قيام الساعة، لا التحديد، كما قال في الحديث الآخر:« بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »(٧)،

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١١/ ٣٦٤)، شرح مصابيح السنة، ابن الملك (٦/ ١١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٢٣/ ٩٦)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري القسطلاني (٩/ ٢٩٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (٣٠٤/٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: السمر في العلم، (٣٤/١)، حديث (١١٦).

(٤) عامر بْن واثلة بْن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرو، ولد عام أحد وأدرك من حياة النَّبِيّ ﷺ ثماني سنين. نزل الكوفة، وصحب عليًا فِي مشاهده كلها، فلما قتل علي ﷺ انصرف إِلَى مكة فأقام بها حَتَّى مات سنة مائة. ويقال: إنه أقام بالكوفة ومات بها، والأول أصح ، ويقال: إنه آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، (١٦٩٦/٤)

(٥) ينظر: صحيح مسلم ، كتاب: الفضائل، باب: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ، (١٨٢٠/٤) حديث (٢٣٤٠).

(٦) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ، (٣٦٣/١١) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ : (بعثت أنا والساعة كهاتين)، (١٠٦/٨)، حديث (٦٥٠٥).

ولم يرد أنها تقوم عند بلوغ المذكور الهرم، وهذا عمل شائع للعرب، يستعمل للمبالغة عند تفخيم الأمر، وعند تحقيره، وعند تقريب الشيء، وعند تبعيده، فيكون حاصل المعنى: أن الساعة تقوم قريباً جداً (١).

والظاهر أن سؤالهم عن الساعة الكبرى، ولكن الجواب جاء عن الساعة الصغرى؛ لكي لا يرتابوا، وهو من باب الأسلوب الحكيم، فإنه أجابهم بخلاف ما يترقبون، وأرشدهم إلى الاستعداد للموت، والتأهب للقاء الله؛ فإنه قريب، وقال لهم ذلك؛ لئلا يرتابوا إذا قال لهم: لا علم لي، فإذا تمكن الإيمان معهم قبلوا ما يقال لهم (٢).

والمعنى: دعوا السؤال عن وقت القيامة الكبرى، فإنها لا يعلمها إلا الله، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى لكم؛ لأن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته، لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر.

[١] ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١٠/ ٥٥٦).
[٢] ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٢٩/ ٦٠٩).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عليه أفضل الصلاة، وأتم السلام.

أما بعد

فقد توصل هذا البحث إلى عدة نتائج لعلّ أهمها ما يأتي:

١- راعى النبي ﷺ أحوال السائلين والمستفتين، وما بينهم من فروق مؤثرة، وما هو أصلح في حق كل واحد منهم في دنياه وآخرته، فيجيب كل سائل بما يليق به، ويتحقق معه مقصود الشريعة.

٢- السؤال أداة من أهم أدوات التعليم، وأقدمها، ولا يمكن الاستغناء عنها؛ لحاجة المتعلم والمعلم إليها، لذلك وجه القرآن إلى الانتفاع بأسلوب السؤال وحث عليه ورغب فيه، وكذلك اهتمت السنة النبوية بالسؤال اهتماماً كبيراً.

٣- قد عدل النبي ﷺ عن إجابة سؤال الأعرابي عن الساعة، إلى سؤاله عما أعد لها، تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، وهذا يسمى بالأسلوب الحكيم.

٤- أعرض النبي ﷺ عن الأعرابي وأمهله تأديباً له، وأخر جواب سؤاله عن الساعة إلى أن قضى حديثه، ثم رجع إلى جوابه؛ لأن هذه المسألة ليست مما يجب تعلمها، بل هي فيما لا يكون العلم بها إلا لله تعالى.

٥- إن الناس أكثروا من السؤال عن الساعة، فجاء جبريل يسأل ليسمع الناس الإجابة؛ حتى لا يعاودوا السؤال بعدها؛ لأنه إذا كان المسئول وهو أمين الوحي في الأرض، والسائل وهو أمين الوحي في السماء، وهما لا يعلمان عن وقت قيامها شيئا، فمن ذا الذي يتطاول بعدهما من الخلق إلى معرفة موعد قيامها؟ وقد ذكر النبي ﷺ بعض أشراطها؛ لكي يعلم الناس أن هذا هو القدر المسموح به، من العلم بموعدها.

## ثبت المراجع

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، بدون.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط١.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ، تحقيق: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١

٥- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض ، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق: أ.د يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ .

٧- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣ هـ .

٨- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (ت ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٩- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٦ هـ.

١٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ – ٧٤٢ هـ) ، تحقيق: د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ.

١١- التوشيح شرح الجامع الصحيح، جلال الدين السيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد – الرياض، ط١.

١٢- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١.

١٣- التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد النسفي (ت٥٣٧هـ)، تحقيق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب، اسطنبول، تركيا، ط١، ١٤٤٠هـ.

١٤- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧.

١٥- الزهد والرقائق لابن المبارك، من رواية الحسين المروزي ، عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، بدون.

١٦- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ .

١٧- شرح صحيح البخاري، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

١٨- شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ .

١٩- صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.

٢٠- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.

٢١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، الحنفي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ، تحقيق: محمود شعبان عبد المقصود، ومجدي عبد الخالق الشافعي، وغيرهما، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧ هـ .

٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤- الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣ هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) بدون.

٢٥- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني،، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١.

٢٦- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل الكوراني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، بدون.

٢٧- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البرماوي، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، ط١.

٢٨- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣ ١٤١٤هـ.

٢٩- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ .

٣٠- مصابيح الجامع، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني، تحقيق: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى.

٣١- المصطفى من هدي النبوة، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، دار الحمامي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٣٢- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف، ابن قرقول، تحقيق: دار الفلاح، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، ط١ ، ١٤٣٣هـ.

٣٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١.

٣٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وغيره، دار ابن كثير، دمشق -

بيروت)، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٣٥- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ١٤١٠ هـ .

٣٦- منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري)، زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١.

٣٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٢.

٣٨- النكت على صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الوليد هشام بن علي السعيدني، أبو تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ، ط١، ١٤٢٦هـ .